

## واقع التاريخ في الرواية الجزائرية " الطاهر وطار أنموذجاً "

### The Reality of History in the Algerian Novel – Tahar Ouattar a Model-

طالبة دكتوراه: بورقية مريم، جامعة أحمد دراية أدرار.  
الأستاذ المشرف: أ.د. قراري سليمان، جامعة أحمد دراية أدرار.  
البريد الإلكتروني: bouregba.meryem@yahoo.com •

تاريخ النشر: 2019/06/30

تاريخ القبول: 2019/06/16

تاريخ الإرسال: 2018/10/12

#### الملخص:

لا شك أنّ المتمعن في السرد الروائي يرى تعقّب اتجاه اليسار الذي تزعمه " فرحات عباس" في عز الثورة التحريرية الكبرى، فكانت الرواية تتفاعل مع أحداث التاريخ، محاولة قراءة الماضي بعيون الحاضر، و الخوض في تلاعبات الزمن السياسي، و فضح المستور المتكتم عنه، و النباش عن الحقيقة المحتكرة لدى أصحاب المصالح و النفوذ، هذه الحقيقة التي تعكس تصوّراً آخر عن المشهد الثوري المقدّس، قد تقلب العديد من الموازين رأساً على عقب، وتغير ما هو تاريخي إلى أحداث مزيفة و مفتعلة لا علاقة لها بالحقيقة التاريخية، التي باتت تعيي كاهل المؤرخين، بحلقات فارغة من تاريخ الجزائر المحروسة .

الكلمات المفتاحية: التاريخ، الرواية الجزائري، الطاهر وطار .

**Abstract:**

There is no doubt if one examines carefully the narrative of fiction, it can obviously be noticed the follow up of the left political trend led by Ferhat Abbes during the apogee of the Liberation Revolution. Therefore, the novel was interacting with the historical events, trying to explore the past with present views, going deep into the manipulations of the political time to unveil the hidden things. The study will also examine the monopolized truth by the holders of interests and influence. This truth reflects another view of the sacred revolutionary scene, which may inverse a lot of criteria and standards upside down. It can also change history into fake events which have nothing to do with the historical truth which has become a burden on historians, with empty events on the history of the guarded Algeria.

**Keywords :** History, the Algerian novel. Tahar Ouattar.

**مقدمة:**

غني عن البيان أنّ استدعاء التاريخ أمر مشروع و شئ طبيعي في كل أدب ، و البحث في آلية التعامل مع التاريخ في العمل الروائي أمر ليس بالهين ، ففي الآونة الأخيرة نالت هذه المسألة اهتمام الباحثين والدّارسين ، حول توظيف التاريخ العربي و التاريخ الإسلامي ، ضمن النص السردّي الروائي .

من المسلمّ به أنّ كل حدث تجاوز لحظة الحاضر فإنه يصبح تاريخاً ، فهو لا يحمل من الحاضر إلا لحظة حدوثه التي يصعب القبض عليها...، فنقصد بالتاريخ إذن تلك المادة المنجزة والمنتهية التي مرّ عليها زمن لا بأس به ،

يضمن حدود المسافة التأملية بيننا وبين المادة المعنية<sup>(1)</sup>، فلا شك أنّ الروائي يستعين بالماضي ويستعيده ، من خلال الاعتماد على مدونة تاريخية معينة ؛ يسجل مجريات أحداثها و تفاصيل وقائعها ، يتساءل ويفترض كي يغيّر الوظيفة بالقول ، يعبر ويتخيّل عن خلجات نفسه و وجهات نظره ، للوصول إلى ما هو جوهرى ودائم وأصيل فيه.

### 1- العلاقة بين الرواية و التاريخ:

جدير بالذكر أن الرواية في مرحلتها الجينية قد كوّنت علاقة متينة بينها وبين التاريخ ، فتزاوجت مع التاريخ زواج وفاء ولكن هذه العلاقة الحميمة لم تطل ، فالرواية حينها لازالت في بداياتها و غير واثقة من نفسها ، ولا موقنة من جمالها الفني ، ولم تبلغ بعد سن الرشد ، فكنا نخالها تعوّل على أحداث التاريخ ، حتى توهم القارئ بصدق الأحداث التي صنعتها ، و الشخصيات التي خلقتها، و القصص التي حكتها ، ممّا حمل "بالزك" <sup>(2)</sup> على عد الرواية حليفاً للتاريخ. بيد أنّ "فولكنير" لم يلبث أن عارض هذا المذهب واعتبر جنس الرواية إبطالا حتميا لمسار التاريخ<sup>(3)</sup>. و لو سلّمنا بمقولة " فولكنير " لزعمنا أنّ الرواية تتناقض مع التاريخ ، ولكنها في الحقيقة تكتب التاريخ بطريقتها الخاصة ، وفق استراتيجية بنائية محكمة يصطفها المبدع لعالمه الروائي، وهنا يمكن وضع الروائي على

(1) ينظر واسيني الأعرج : الرواية التاريخية ، الرواية والتاريخ"أبحاث ندوة"، مجموعة باحثين، دراسات ثقافية سلسلة فصلية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث في قطر، مطابع دار الشروق، الدوحة، مارس2005، ص17.

(2) « هنري دوبلزك ولد بمدينة تور الفرنسية 20ماي 1799، عاش التطورات الحاصلة في الساحة الفرنسية أثناء الانتقال من العهد الملكي القديم إلى العهد الثوري أو الجمهوري الجديد ، له رواية " بوجين غرانييه و " الأب غورير" ، مات بعد احتضار طويل ز صعي و هو في الواحدة والخمسين من عمره « ماري ف . ساندرز عن كتاب هنري دو بلزك حياته و كتاباته ، المنشور 28أغسطس 2006 من الموقع الإلكتروني www.albayan.ae:يوم الزيارة : 02أكتوبر 2018 على الساعة 23:20

(3) ينظر: نظرية الرواية : عبد الملك مرتاض، مجلة عالم المعرفة ، ع240، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ،الكويت ، ديسمبر 1998، ص28.

المحك ، فلا يمكن للروائي أن يكون مؤرخًا ، ولا العكس أيضا ، وبالتالي لا يمكن للرواية أن تكون وثيقة من وثائق التاريخ ، كما لا يمكنها إبطال حتمية التاريخ. ظلت الرواية التقليدية تستمد أهم مباحثها من التاريخ حتى مطلع القرن العشرين ، ووفق مقولة "كوجينوف فإنّ": « الرواية ظهرت بشكل مستقل في نهاية عصر النهضة فقط ، إذ ظهرت في البداية في التراث الشعبي كاستيعاب مباشر للعلاقات الانسانية الجديدة ، والعلاقات المتبادلة»<sup>(1)</sup>، غير أنّ التحولات الجذرية التي غيرت هذه المعطيات ، كذوبان القيم الأخلاقية والاجتماعية ، قد وجدت «صدىً لها في الرواية الغربية التي تغيّرت نظرتها للتاريخ فاحتقرته ، و أنكرته وألغت الشخصية ، واستبدلت الرّمق بها، وحطّمت خط السيرورة التاريخية؛ أي التسلسل الزمني للأحداث»<sup>(2)</sup>، فكان الهروب من الواقعية نحو عالم الخيال والتخييل ، والعنفوان الوجداني، وإطلاق العنان للعاطفة.

وفي زمن غير بعيد جاءت الرواية المعاصرة لتعيد التاريخ إلى كينونتها السردية ، لكن بشروط أخرى فرضتها القوى الراهنة فبعدها «اقتصرت في بداية الأمر على صيغة مباشرة لسرد أخبار يشترط فيها أن تكون حقيقية وحديثة الوقوع ، وفي نفس الوقت عن شخصيات مهمّة ومثيرة للاهتمام ، أي أنّها جمعت في ذلك الوقت بين المسلّمات البطولية التي تقترب من الأسطورة، وبين الصحافة الحديثة لما تحويه من أخبار وقعت بالفعل»<sup>(3)</sup>، تحوّلت إلى تشكيل فني يعتمد على خيال الروائي بالدرجة الأولى، والغوص في عالم الأحلام والمثل العليا بالدرجة الثانية.

يرى أصحاب النزعة التاريخية أنّ التاريخ والرواية مترابطان ترابطا عضويا ، ولا يمكن الفصل بينهما ، كما هو الشأن عند "بلزاك" مثلا ، لكن الرواية

(1) فيصل الأحمر، دائرة معارف حديثة، ج2، دار الأوطان ، الجزائر، ط1، سنة2009، ص282.

(2) ينظر: محمد الباردي، الرواية العربية والحداثة، ج1، دار الحوار اللادقية، ط1، سنة1993، ص213.

(3) نبيل راغب ، فنون الأدب العالمي ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، سنة1996، ص173.

الجديدة ترفض هذه الأطروحة ، و تأبى أن تربط نفسها بالتاريخ كما يرى "فولكنير" مثلا ، لكن الاشكالية القائمة هي : هل الرواية قادرة حقا على الخروج من جلد التاريخ و التمرد على الزمن ، خاصة و أن الشخصيات ، و الأحداث ، و الأحياز، و الأزمان : كلها يحيل على التاريخ ، فبديهى بل مستحيل نكران ذلك بالرغم من وجود عقدة الجدة والحداثة (1)

فكان التفاعل بين الرواية والتاريخ ، من خلال تفاعل الأحداث والشخصيات التاريخية ذلك أنّ الرواية « قصة خيالية ذات طابع تاريخي عميق» (2)، هذا المفهوم الذي يؤكد تلك العلاقة الوطيدة التي تربط التاريخ بالرواية، وتوضح طبيعة الفن الروائي الذي يعمد التصوير الواقعي، والمعيشي بالاستعانة بالتخييل ، ليعبر عن الحياة الاجتماعية ، و السلوكات النفسية ، والتحولت السياسية الراهنة « إذ لا توجد شعوب بلا تاريخ .هذا التصور الاختزالي يعني بكل بساطة أنّ تاريخ هذه الشعوب إن كان مجهولا فلا يعني هذا أبدا أنه غير موجود .منذ عشرات بل مئات آلاف من السنين وجد هناك بشر أحبوا وكرهوا و تألموا واخترعوا و حاربوا. لا توجد شعوب طفولية (بدائية) .كل الشعوب بالغة حتى تلك التي لم تدوّن طفولتها ومراهقتها» (3)، ولا يمكن للرواية أن تصوّر معاناة الشعوب دون الوقوف عند تاريخها.

وعليه يمكن القول أنّ « الرواية لا تأخذ المادة التاريخية كحقيقة مطلقة وليس شرطا أن تأخذها مادة للاختبار، ولكنها تبحث في عمقها عما يمكن أن ينتظم داخل النسق الروائي مضيئة شيئا جديدا إلى التاريخ . وقد تهز يقينه جذريا إذا توقّرت المادة الثقافية التي تحول الرواية كذلك إلى ميدان للبحث» (4)، لكن هذه

(1) ينظر: في نظرية الرواية : عبد الملك مرتاض ، ص 15

(2) محمد رياض وتار:توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة-دراسة-، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سنة 2002 ، ص 101.

(3) المرجع السابق : واسيني الأعرج : الرواية التاريخية، ص 39.

(4) المرجع السابق : واسيني الأعرج : الرواية التاريخية ، ص 24.

الإضافة قد تكون سعياً لنبش التاريخ و معرفة التاريخ وقد تكون تزييفاً وتحريفاً له بل وحتى تشوهاً لصورة شخصيات كانت تبدو عظيمة وقتئذ.

## 2- الروائي و المؤرخ:

كان للرواية أن تسلط الضوء على مرحلة معينة من الزمن ، أو تصوّر أحداثاً واقعية تؤرخ لبيئة ما ، وشخصيات فاعلة كان لها الأثر الكبير في تغيير حياة الناس ، جاز للروائي التلاعب بفنيات القصة دون التعدي على حقيقة التاريخ ، و إن سبق وفعل ذلك فلن يعبر إلا عن إيديولوجيته الفكرية ، وميوله الذاتي ، و رأيه الشّخصي ، وكما يجدر بالمؤرخ توخي الموضوعية في الطرح ، و التزام الواقعية و التأريخ للأحداث ، فإن ذلك لا يعصمه من الخطأ ، أو عدم الحيادية ، أو التعصب ، أو الجهل ، كما الشأن بالنسبة للروائي الذي يكتب رواية تاريخية أيضاً.

فالروائي المؤرخ لا يكفيه تقرير الحقيقة التاريخية الموجودة ، و إنما عليه أن يوضّحها ويزيدها رونقاً من آداب العصر ، و أخلاق أهله و عاداتهم ، حتى يخيل للقراء أنّه عاصر أبطال الرواية ، و عاشهم ، و شهد مجالسهم ، و مواكبهم ، و احتفالاتهم<sup>(1)</sup>

وعليه يأخذ التاريخ في الرواية العربية أشكالاً مختلفة « فيميل سارتر إلى ربط الرواية بالتاريخ ، والتاريخ بالوجود ؛ في علاقة جدلية لا تتصل و لا تبين ؛ فيقرّر أن الرواية يجب أن تؤرخ ، أو قل تؤرخن إن جاز مثل هذا الإطلاق<sup>(2)</sup> ، و الحقيقة أن هذا النقد تقليدي أساسه النظرية الاجتماعية القائمة على تأثير المجتمع في الأدب و حتمية تفعيل دور الرواية بالنسبة للتاريخ .

(1) ينظر :السعيد الورقي : اتجاهات الرواية العربية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ،الأزاريطة ، 1430هـ/ 2009م ، ص 33،32.

(2) في نظرية الرواية : عبد الملك مرتاض ، ص15

وليس بخفي عنا أن الروائي يخبئ الكثير من الحقائق لأسباب معينة ، فتسعى الرواية جاهدة لكشف ملابسات الحقيقة و البحث عن إجابات انطلاقا من فرضيات تصنعها بنفسها ، من خلال أحداثها و فعل شخصياتها الروائية ، فقد يضيف الروائي شيئا مغمورا ، أو حتى يفتعل شيئا خياليا من أجل الحصول على عنصر الإثارة و التشويق ، وعمله هذا قد يشوه التاريخ و يضيف عليه ما لا يجب إضافته فيه ، حتى قد يشوبه الزيف و الاعوجاج ، أو قد يحذف أشياء أخرى تقربنا من الحقيقة التي لطالما تستر عليها الروائيون أو تحاشوها رغبة منهم في عدم استئثارها ، لانعكاساتها السلبية على الساحة الأدبية أو السياسية أو الثقافية ...هلم جرا. وكما يقول الأستاذ الدكتور " واسيني الأعرج " :

«لا أعتقد أن هناك تاريخا صافيا و علميا بالمعنى الموضوعي و بشكل إطلاقي. فالتاريخ كثيرا ما يحو فواصله بين الحقيقة الموضوعية والحقيقة المتخيلة و قد يحتاج في بحثه المستميت عن الحقيقة إلى ترميمات لا يقربها منه إلا المتخيل الذي يركز على القرابة مع التاريخ : نتساءل اليوم بكثير من الدهشة : هل تاريخ المسعودي<sup>(1)</sup> مثلا كله تاريخ؟ وتاريخ ابن خلدون ...»<sup>(2)</sup> وغيرهم كثير على اختلاف تعاطيهم مع لمحتوى التاريخ وكيفية ترويضهم إياه بفعل المتخيل ، فلا بدّ هنا من التشكيك في حقيقة هذا التاريخ لا لأجل الانتقاص من قيمته ، بل من أجل البحث عن المستور و المسكوت عنه .

(1) المسعودي صاحب التاريخ علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي المؤرخ، من ذرية عبد الله ، ابن مسعود رضي الله عنه؛ مات سنة ست وأربعين وثلاثمائة. وله من التصانيف كتاب " مروج الذهب ومعادن الجوهر في تحف الأشراف وملوك " وكتاب " ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور " وكتاب " الرسائل والاستنكار لما مر في سالف الأعصار " وكتاب " التاريخ في أخبار الأمم من العرب ...، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإريلي: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط1، ج3 ، 1974، ص13، 1.

(2) المرجع السابق: واسيني الأعرج : الرواية التاريخية ، ص20.

### 3- النقد و التاريخ:

من هنا تبدأ مهمة الناقد التاريخي ، الذي تفرض عليه دراية شاملة ، و نظرة إستمولوجية واضحة ويمكن تحديد المراحل الضرورية التي يلزم المرور منها لتحقيق قراءة تاريخية للنصوص الأدبية حسب ما تصوّره "ياوس" و هي:

-مرحلة قراءة الفهم. -مرحلة قراءة التأويل . -مرحلة القراءة التاريخية (1)

تشكّل المرحلة الأولى تبلور عملية الفهم و القراءة المتمحصّة الهادفة للولوج إلى فهم النص ، أما القراءة الثانية فتمثل تجسيد الفهم لأجل نقد بناء وفق منهج معين ، وأخيرا تفعيل عنصر التاريخ من خلال تناول الأحداث ، وعنصر الزمان ، والشخصيات الروائية...

لا شك أن العمل الروائي يدعو إلى التمييز بين وقائع عن الماضي نعرفها من التاريخ ، و أخرى لا تختلف عن الأسطورة و الخيال الأدبي، أي ثمة سرود تاريخية و أخرى لفظية مختلقة لا مكتشفة ، فيرى الكثير من منظري مابعد الحدائث و الدراسات الثقافية ، استحالة التحدث عن حقيقة الماضي أو استعمال التاريخ في إنتاج معرفة موضوعية أصلا ، وعدم إمكانية رؤية الماضي إلا من منظور ثقافتنا الزاهنة(2) .

لا شك أنّ « المبدع في المنظور التاريخي اكتسب خبرات وثقافات تأصلت في نصه سواء أستمّد ذلك بوعي أم بغير وعي ؛ مما يعزز لدينا فكرة أنّ المنشئ أيا كان ترتيبه الزمني إنما هو حلقة في سلسلة حلقات سابقة و لاحقة ولم يمت البتة ؛ فهو لم ينطلق من فراغ ، متشعب بنصوص كثيرة سابقة له ، بمعنى أنه ليس حرا في إبداعه الإنتاجي ؛ ولكنه في الوقت نفسه ليس منعزلا عنه »(3)،

(1) ينظر: طراد الكبيسي: مدخل في النقد الادبي ، دط ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان-الأردن ، 2009 ، ص24.

(2) طراد الكبيسي، المرجع السابق، ص23.

(3) إبراهيم السمري: اتجاهات النقد الأدبي في القرن العشرين ، ط1، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 1432/2011، ص372.

فالإبداع الأدبي فيّاض بالمعلومات عن العصر الذي عاش فيه المبدع ، وعن معاصريه من الأدباء و الحكام و الشخصيات المختلفة ، ولهذا فسنلتمس ذلك في كل عمل أدبي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

كما يجدر بالذكر أنّ لكل نص أدبي نصيبه من التاريخ ، يروي لنا ملامسات سياسية و اقتصادية واجتماعية كانت وراءه ، وهكذا يفترض من الناقد التاريخي أن تكون له المؤهلات الكافية والشافية لبلوغ مآربه والمنبتقة من صلب نصه الأدبي « بما فيه من حياة العواطف و الأخيلة ، و هو يستعين بتاريخ العصر ونظمه السائدة على استجلاء النص الأدبي ، و إدراك ما خبأه الزمن وراء حروفه ، والعلم بما تضمّنه ، أو أشار إليه ، من وقائع و مواقع و أحداث و أعلام ، وتحديد ما كان لألفاظه و مصطلحاته من دلالات خاصة...»<sup>(1)</sup>، وهذا لصيق بصفات الناقد و براعته النقدية.

#### 4- حضور التاريخ في الرواية الجزائرية:

الواقع أنّ الأدب الجزائري يشبه إلى حد كبير كل حديث عن الأدب العربي بصفة عامة ، فقد عايش هذا الأدب نفس الظروف والمشكلات التاريخية والفكرية التي عاشها الأدب العربي، وكانت صلة الجزائريين بأوروبا من أسبق الصلات التي نشأت بعد ذلك فاستفادت من الصلة تجاريا وحريريا وإداريا، ولكنها لم تستفد من فكرها وحضارتها ورقّتها وثقافتها قبل مجيئ الاحتلال<sup>(2)</sup>، وزاد الطين بلة فركد الأدب وأصبح مجرد كتابات سطحية وظرفية، لم تستفد مما كان يجري في الساحة الأدبية والنقدية من مستجدّات، ولا مما استجدّ في الساحة العربية المشرقية كما عرفناه لدى "جماعة الديوان" أو "أبولو" ، وما تبعها من نشاط نقدي أثارته التوجهات الجديدة في النقد، وفي الكتابة الأدبية ولقد كان للموقف المحافظ

(1) علي جواد الطاهر: مقدمة في النقد الأدبي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط1، بيروت ، 1979، ص398.

(2) ينظر : سعد الله أبو القاسم، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائريين، ص21.

أثره البالغ السلبية في عدم الاستفادة من الثقافة الأجنبية في غياب الترجمة ،  
والرحلات نحو العالم الآخر .

إنّ حضور التاريخ في الرواية الجزائرية يرتبط بعوامل سياسية ،  
 واجتماعية ، واقتصادية ، فالجزائر المستقلة اختارت الاشتراكية كنظام اقتصادي  
 لها ، فانحازت له على حساب الرأسمالية، فهيمنت الدولة على كل المجالات  
 الاقتصادية باستعمالها المؤسسات العمومية ، و تدعّم هذا النظام الاشتراكي  
 بإصلاحات تنموية ، شملت قطاع الزراعة، قطاع الصناعة ، وقطاع الثقافة ، لم  
 يكن الحزب الشيوعي سوى « تابع للحزب الشيوعي الفرنسي الذي كان ، منذ  
 اندلاع الحرب الإمبريالية الثانية ، شريكا قويا في حركة المقاومة التي تزعمها  
 "ديغول" ، وبذلك الصفة دخل لبس عباءة الوطنية الضيقة التي تسعى إلى  
 استرجاع السيادة الفرنسية ...، و إلى الحفاظ على حدود الإمبراطورية الاستعمارية  
 الشاسعة و هو موقف يتناقض تماما مع الماركسية اللينينية ومع أهداف الأممية  
 الشيوعية «<sup>(1)</sup>، وتصوره هو البقاء تحت سيادة السلطة الفرنسية وعدم الانفصال  
 عنها، وهو ما لا يتوافق مع حق الشعوب في تقرير مصيرها.

كما كان لحزب الطليعة الاشتراكي الذي تأسس سنة 1966<sup>(2)</sup> ، دوره  
 الفعّال في نشر الاشتراكية ، حيث تنامت نشاطاته السرية ، و أصبحت تدور في  
 فلك العلنية المقيّدة ، كمنشوراته في جريدة صوت الشعب ، وفي الاتجاه المقابل  
 نشطت حركة الإخوان المسلمين مستفيدة من المكانة السياسية لهذا التنظيم و  
 تجربته الطويلة ، وبديهي أنّ تتأثر الجزائر بهذا التيار المتشدّد فقد وجد أرضية

<sup>(1)</sup>العربي الزبيرى: تاريخ الجزائر المعاصر ، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1999، ص225

<sup>(2)</sup>« حزب الطليعة الإشتراكي ( PAPS ) تأسس 1966 ، بمشاركة مجموعة من الجزائريين كالهاشمي الشريف ، إذ  
 يصفهم المناضل في صفوف حزب التجمع من أجل الثقافة و الديمقراطية " آيت ماضي إسماعيل " أنهم لم يغزلوا  
 الجماهير و يغالطوها بدغدغة مشاعر الناس الدينية " « الهاشمي شريف ، القطيعة الجزائرية مع الأصوليين ، الموقع  
 الإلكتروني : www.maghrebvoices.com. يوم الزيارة: 02 أكتوبر 2018 على الساعة 23:35

خصبة لبث أفكاره ، خاصّة و أنّه تزامن مع الإصلاحات المتمثلة في النظام الاشتراكي، وتبلور هذا العداء بأشكال متعدّدة منها الشكل الأدبي ، وبذلك اتجه التيار الاسلامي نحو الشعر ، واتجه التيار الاشتراكي نحو الفن القصصي و الروائي<sup>(1)</sup> ، فالمتمعّن في السرد الروائي يرى أنه تعقّب اتجاه اليسار الذي ترّعه " فرحات عباس" في عز الثورة التحريرية الكبرى ، فكانت الرواية تتفاعل مع أحداث التاريخ ، محاولة قراءة الماضي بعيون الحاضر ، و الخوص في تلاعبات الزمن السياسي ، و فضح المستور المنكّم عنه ، و النبش عن الحقيقة المحترقة لدى أصحاب المصالح و النفوذ ، هذه الحقيقة التي وتنعكس تصوّراً آخر عن المشهد الثوري المقدّس ، قد تقلب العديد من الموازين رأساً على عقب ، كتواطؤ رجال السياسة العليا ضد مصالح الدولة الجزائرية ، ما يمس سيادة الدولة وكرامتها، ناهيك عن الكثير من الأمور المبهمة السريّة ، التي باتت تعيي كاهل المؤرخين ، بحلقات فارغة من تاريخ الجزائر المحروسة .

لا ريب أنّ الباحث في الرواية الجزائرية سيجد عدة تساؤلات تتعلّق ببنياتها السردية ومضامينها المطروحة وكيفية تعاملها مع المادة التاريخية «ابتداءً من سرد روائي يتعقّب مظان النضال اليساري إبان الثورة ، الذي حاول أن يتلمّس نقاط الضعف والقوة في الثورة ذاتها ، و أن يحاكمها من جهة ، ويعيد قراءة الماضي من جهة أخرى، فيما يعمل على التركيز على جوانب المفارقة التي تبرز أدوارا كان مسكوتا عنها داخل الدائرة الميثولوجية للثورة ، التي عملت على ابتلاع كل الخطابات الأيديولوجية التي قد تعصف بها»<sup>(2)</sup>، كما كان لنظرية الانعكاس\*

(1) ينظر مخلوف عامر : تحولات الرواية تحولات التاريخ ، دراسات و إبداعات الملتقى الدولي الثامن ، وزارة الثقافة ، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريّج ، 2006 ، ص173 ، 174 .

(2) سليم بوعجاجة، الرواية الجزائرية ومسألة التاريخ، جلة ثقافات علمية محكمة تعنى بالدراسات الثقافية، كلية الآداب، جامعة البحرين، سنة 2010 ، ص140 .

\*-نظرية الانعكاس:الجدلية المتجاوزة للظواهر السطحية إلى السلبيات الاجتماعية الواعية بالمنطق الداخلي المتحكم في سيرورة الأمور ، الشيء الذي يجعل من الأدب سبيلا آخر إلى إنتاج المعرفة بالوجود وبالتاريخ ، لأنه يعرض

الآلي في أذهان الكتّاب في البداية أثرها في توظيف الدين، وكانت هذه النظرة التبسيطية نابعة من فهم مبتدل للأيديولوجية الماركسية في تفسيرها للظاهرة الأدبية.

##### 5- نماذج لتوظيف التاريخ الطاهر وطار أنموذجاً:

ويتزعم "الطاهر وطار" الروائيين الجزائريين في توظيفه للتاريخ بأبعاده المختلفة ، ويتمحور السرد التاريخي على موقف الاشتراكية الدولية من ثورة التحرير...، بحيث يرمي إلى الدفاع عن الشيوعيين الجزائريين ، فيبرر مواقفهم من الاستعمار، «الحزب الشيوعي الجزائري لم يكن مستعداً لتبني فكرة الجمهورية الجزائرية المستقلة ، ولا ليقبل بغير التطور في إطار الإمبراطورية الفرنسية كحل للمشكل الجزائري الذي هو مجرد مطالبة بالخبز وبال حقوق المادية، أما الاستقلال فهو عين الديماغوجية، لأن الجزائر لا يمكن أن تكون إلا تابعة لقوة خارجية»<sup>(1)</sup>، فمفاد ذلك أنّ الحزب من دعاة الجزائر الادماجية الفرنسية ، اختار أن يكون تابعا وملحقا بالقوى الفرنسية، و الخضوع للسلطة الاستدمارية، واكتفى " وطار " بتجسيد مبادئ الحزبية الاشتراكية ، و عدم تركيزه على المفارقة الأيديولوجية في المجتمع الجزائري ، في شرعية مطالبه بالاستقلال.

لكن لا ننس أنّ الحزب الشيوعي الجزائري قد صار فيما بعد من المطالبين بالاستقلال وانخراط في الكفاح و« ساهم في معركة التحرير شرط أن يمثل في جبهة التحرير الوطني كقيادة مستقلة بذاتها و أن يشترك أعضاء الحزب في القتال لا كجنود جيش التحرير ..فاستقال من عضوية الحزب عدد كبير من

العالم بشكل تنويري ويضيف جيديدا إلى كل ما هو كائن ومعروف . الموقع الإلكتروني: [www.startimes.com](http://www.startimes.com) يوم 12.00 على 2015/04/15.

(1) العربي الزبيبي: المرجع السابق: تاريخ الجزائر المعاصر، ص226.

أعضائه الاوربيين الذين انضموا فيما بعد إلى صفوف المنظمة الإرهابية «<sup>(1)</sup> ، وهذا يدل على عدم وضوح استراتيجية هذا الحزب فيما يتعلّق بمستقبل الجزائر فالتصق التاريخ بالثورة التحريرية الكبرى و ما صاحبها من تغيرات جذرية ، على الصعيد الوطني أو الخارجي ، هذا التاريخ الذي صنعه أمجادنا الذين ضحّوا بالنفس و التّفيس من أجل تحريره ، كما صنعه آخرون مزيفون منبذون في المجتمع ، و على اختلاف شرائح المجتمع الجزائري ، وبغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية و الثقافية .

وعلى سبيل المثال لا الحصر "اللاز" ذاك اللقيط الذي تهاوت به هويته المجهولة ، في متاهات الحياة البائسة، فراح يثار لذلك محاولا تعويض ما نقص من شخصيته ، بأي وسيلة كانت ، فاللاز الشخصية البطل في الرواية يحمل في طيّاته العديد من المعاني لدى الفرد الجزائري ، المحاط بالتميز ، و الاعجاب والاختلاف عن الباقين ، مما يجعله محطّ اهتمام الناس ، ومصدرا للفت الانتباه . فرسمه "وطار" « مكابر، معاند ، وقح متعنّت ، لا يهزم في معركة ، و إن استمرت عدّة أيّام ... ماجعل الجميع ، كباراً و صغاراً ، يهابونه ، ويتحاشون الاصطدام معه ، ويتنازلون له ، عن حق أو عن باطل ، ...نمت فيه شرور ، لم تكن لتتوقع ، من السّطو على المتاجر ليلا ، إلى الخمر ، إلى الحشيش ، إلى القمار ..حتى بلغ معدّل دخوله السّجن ، ثلاثين مرة في الشّهر»<sup>(2)</sup>، فتتحرك شخصية " اللاز" ضمن موضوع الثورة الجزائرية وما صاحبها من أوضاع سياسية واجتماعية ،، بدءاً بوصف الأوضاع المعاشة و ما يتعلّق بالبيئة الخارجية ثم وصف المعاناة .

(1) ينظر :مها ناجي حسن : الحزب الشيوعي الجزائري وموقفه من الثورة الجزائرية ، مجلة الاستاذ ، ع 212 ، مج1 ، 2015م /1436م، ص 392

(2) الطاهر وطار : اللاز ، موقم للنشر ، الجزائر، سنة2007، ص10.

كما تتحرّك شخصية "بعطوش" هي الأخرى لكن بعكس ما كان عليه "اللاز" فهو شخصية تحظى بمكانة مرموقة، شخصية فاعلة في المجتمع يشار إليها بالبنان، كان "بعطوش" عميلاً لدى السلطات الفرنسية، اختير ليفتق جيش التحرير، غير أنه تفتن في الأخير نتيجة عذاب الضمير، فتحول إلى مجاهد صنيدي، فشن هجوماً على الكفة العسكرية التي احتضنته، بدءاً بخنق الضابط و مروراً بتفجير براميل البنزين التي حوّلت الليل نهاراً، ووصولاً إلى نيل العز و الشرف، فعملية الاقتحام كانت ناجحة « رغم أنّ كل شيء خاصّة الصمت المطبق الذي أعقبها، يدلّ على نجاحها مائة في المائة»<sup>(1)</sup>، و هكذا أضحي "بعطوش" رمزا تاريخيا محركا للأحداث والمواقف، بعدما كان في عداد الخونة، وكأنّ الروائي أراد أن يجعل من هذه الشخصية ذاكرة حيّة تحمل معنى التاريخ الثوري.

عمد "الطاهر وطار" أن يقرأ جانبا من تاريخ الثورة، بالاستعانة بالسرد الروائي، بتوظيف "حمدان قرمط" مؤسس الحركة القرمطية في رواية "عرس بعل" ، حيث يقول: «...مزج كمية من الحشيش بالعلس. وضعها على لسانه و استغزق ، متذكرا البلغة...كل شيء ظاهر لباطن ، إلا العدل ، فقرمط بين الناس»<sup>(2)</sup>، ويشرح "الطاهر وطار" قوله أن "حمدان قرمط" كان يطعم أنصاره حبيبات عذبة يصنعها بنفسه تسمى البلغة على أساس أنها طعام الجنة، وسمي القرمط هكذا بسبب سعي القرامطة إلى التقريب بين جميع الناس و ليس بسبب قصر قامة "حمدان" وتقارب خطوه.

فلا مناص من قول كلمة حول "القرامطة"، «الحركة القرمطية بدأت على الأرجح 264هـ في قرى الكوفة، و تنتسب إلى حمدان قرمط، وكان أفراد الحركة يسمون أنفسهم "المؤمنين بالله"، الناصرين لدينه، المصلحين في الأرض، أما

(1) الطاهر وطار : المرجع نفسه :اللاز ، ص215

(2) الطاهر وطار: عرس بعل ، ص72

"القرمطية" فنعت أطلقه عليهم أعداؤهم تحقيرا ، وتعبيرا عن كراهيتهم لهم وسخطهم عليهم ، وهو مأخوذ من كلمة "قرمطونا" النبطية ، وتعني الخبيث أو المحتال»<sup>(1)</sup>، فتم توظيف شخصية "حمدان قرمط" هذه الشخصية التاريخية المتطرفة ، « فكم من حركة جاءت باسم الدين -كما يقول الدكتور دوري- وما الدين إلا ستار أخفت وراءه أغراضها الحقيقية ، سياسية أو اقتصادية ، أو اجتماعية ، فحركة الاسماعيلية وجناحها الثوري المتطرف ، القرامطة مثلا لا تفهم من وجهة نظر دينية ، إذ أن أصولها نمت من الوضع الاجتماعي و السياسي السائد ، و أهدافها اقتصادية اجتماعية بالدرجة الأولى»<sup>(2)</sup>، فاستحضار الحركة القرمطية في رواية وطار لم يكن اعتباطيا؛ خاصة إذا ربطناها بالحركة الإسلامية المسلحة التي لبست عباءة الدين وتسترّت به .

و تشكل حركة الإنقاذ أهم حلقة فيها وقد تأسست سنة 1989، فنادت بضرورة التغيير الجذري وبضرورة رحيل من لوثوا أنفسهم بملفات الرشوة و الإختلاسات - ملف 26 مليار دولار أمريكي - وهكذا قامت هذه الحركة بتصعيد لهجتها ضد النظام الجزائري الذي يود فرض مشروع تغريبي فرانكفوني على أغلبية مسلمة<sup>(3)</sup> ، وما هذا إلا شكل من أشكال الصراعات الإسلامية المتشددة مع النظام الجزائري ، الذي كرّس مفهوم غياب الحوار و العنصرية ، وبالتالي يكون توظيف " حمدان قرمط " بالموازاة مع ماتعيشه الجزائر من ظروف اجتماعية وسياسية آنذاك.

(1) .أدونيس "علي أحمد سعيد":الثابت والمتحوّل ، بحث في الاتباع و الإبداع عند العرب -2-تأصيل الأصول ، ط5، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1407هـ/1986م، ص66.

(2) إسماعيل الميرعلي : القرامطة و الحركة القرمطية في التاريخ ، ط1، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1403هـ/1983م، ص24.

(3) يحي أبو زكريا : الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر 1978- 1993 ،مؤسسة العارف للمطبوعات ، ط 1 ، بيروت ، 1413هـ/1993م ، ص 69

و يقرأ "الطاهر وطار" في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" الراهن الجزائري قراءة تاريخية ذات ديناميكية سردية قوامها الحكي المتخيّل، يجوب من خلالها "الطاهر وطار" الأزمنة ، ويرحل عبر الأمكنة متوغلا في عالم الخيال ، لخلق رؤية واقعية من صميم المجتمع الجزائري الملطّخ بالدماء والفتن، زمن العشرية السوداء :

«فار الدم.صارت الجدران تتراقص.صار السقف يهرب

و يولي،اختلطت صرخات الجميع المرعبون-والمهاجمون

انطفأ كل شيء ، توفقت الحياة في هذا المنزل خرجنا محمومين

كان الحي كله منزلا واحدا وكنا نصول ونجول فيه،،،»<sup>1</sup>

ذلك الزمن الذي تداخلت فيه الخصومات السياسية الحالكة ، زمن التسعينات، الذي فرض الواقع العربي على الروائيين اتخاذ أساليب سردية في التعامل مع الظروف الجديدة ، محاولين اسنطاق التاريخ، والموروث الثقافي أيضا.

### خاتمة:

و من هنا فإن صلة الرواية بالتاريخ صلة مؤكدة لا شك فيها، وحضوره في الرواية طبقا لمبررات فنية يختص بها المتخيّل السردية وما لا يخفى علينا دور الناقد التاريخي في تبيان الحقيقة التاريخية ، الأمر الذي يعيننا على فهم التاريخ بدلالات فنية وجمالية ، و أسلوب مشوق.

(1)-الطاهر وطار : الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، موقف للنشر، الجزائر، سنة2004، ص87.

## قائمة المصادر و المراجع:

- 1- إبراهيم السمري: اتجاهات النقد الأدبي في القرن العشرين ، ط1، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 1432/2011
- 2- ابن خلكان البرمكي الإربلي: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط1، ج3، 1974،
- 3- أدونيس "علي أحمد سعيد":الثابت والمتحوّل ، بحث في الاتباع و الإبداع عند العرب -2-تأصيل الأصول ، ط5، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1407هـ/1986م
- 4- إسماعيل الميرعلي : القرامطة و الحركة القرمطية في التاريخ ، ط1، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1403هـ/1983م
- 5- سعد الله أبو القاسم، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائريين ،دت
- 6- السعيد الورقي : إتجاهات الرواية العربية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة ، 1430هـ / 2009م
- 7- سليم بوعجاجة، الرواية الجزائرية ومسألة التاريخ، مجلة ثقافات علمية محكمة تعنى بالدراسات الثقافية، كلية الآداب، جامعة البحرين، سنة2010
- 8- الطاهر وطار: عرس بغل
- 9- الطاهر وطار: اللاز ، موفم للنشر ، الجزائر، سنة2007
- 10- الطاهر وطار : الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزّكي ، موفم للنشر، الجزائر، سنة2004
- 11- طراد الكبيسي: مدخل في النقد الادبي ، دط ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان-الأردن ، 2009

- 12- عبد الملك مرتاض: نظرية الرواية ، مجلة عالم المعرفة ، ع240، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، ديسمبر 1998
- 13- العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر ، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1999
- 14- علي جواد الطاهر: مقدمة في النقد الأدبي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط1، بيروت ، 1979
- 15- فيصل الأحمر، دائرة معارف حديثة ، ج2، دار الأوطان ، الجزائر، ط1، سنة2009
- 16- محمد الباردي، الرواية العربية والحداثة، ج1، دار الحوار اللانقوية، ط1، سنة1993
- 17- محمد رياض وتار:توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة-دراسة-، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، سنة2002
- 18- مخلوف عامر : تحولات الرواية تحولات التاريخ ، دراسات و إبداعات الملتقى الدولي الثامن ، وزارة الثقافة ، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج ، 2000
- 19- مها ناجي حسن : الحزب الشيوعي الجزائري وموقفه من الثورة الجزائرية ، مجلة الاستاذ ، ع 212 ، مج1 ، 2015م /1436م
- 20- نبيل راغب، فنون الأدب العالمي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، سنة1996.
- واسيني الأعرج، الرواية والتاريخ "أبحاث ندوة"، مجموعة باحثين، دراسات ثقافية سلسلة فصلية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث في قطر، مطابع دار الشروق، الدوحة، مارس2005

- 21- يحي أبو زكريا : الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر 1978-  
1993 ،مؤسسة العارف للمطبوعات ، ط1 ، بيروت ،  
1413هـ/1993م
- 22- الموقع الإلكتروني : [www.startimes.com](http://www.startimes.com)
- 23- الموقع الإلكتروني : [www.maghrebvoices.com](http://www.maghrebvoices.com)
- 24- الموقع الإلكتروني
- 25- [www.albayan.ae](http://www.albayan.ae)